الأصواتيّة في التّداوليّة المدمجة
خطاب الأنبياء في القرآن الكريم والتّوراة دراسة مقارنة (إنموذجاً)

أ.د. إيمان السّلطانيّ/ جامعة الكوفة /كلية التّربية للبنات

imanm.alsultani@uokufa.edu.iq

أ.د. فكري جواد / جامعة الكوفة / كلية الدّراسات

alfkr@hotmail.com

م.م. صفاء عبد الحكيم حسن البكّاء / جامعة الكوفة / كلية التّربية للبنات

safaabakaa٩@gmail.com

الملخص:

مرّت مسارات التّداوليّة بشكل عام والتّداوليّة المدمجة بشكل خاص بمراحل تطوّر ومراجعات، حاول فيها أديكرو تطوير مشروعه، فعمل على دراسة الحجاج من منظورالأصواتيّة بعدما كان يدرس الأفعال اللغويّة حجاجياً، فهو يبحث دائماً عن موضوعات جديدة، إذ عمل على صياغة القديم من منظور جديد، وبعد قيامه بجولة نقديّة في بعض الدّراسات والأعمال اللّسانيّة التي تتبنى فكرة النّاطق الواحد للملفوظ، بَسَطَ تصوّره الأصواتيّ للمتكلم الواحد ليضفي عليه طابعاً تعدّدياً جديداً، فهو يرى أنّ القول المنطوق لا يقتصر على الذّات المتكلمة وإنّما تشترك فيه ذوات أخرى تختفي وراء صوت المتكلم، كل ذلك التّحديث والتّجديد لكي تواءم نظريته المعطيات الجديدة للظّاهرة الخطابيّة.

الكلمات المفتاحية: (المتكلم، المتلفظ، النّفي، وجهة نظر، السّياق، التّعدّديّة).

phonemes in compact pragmatics
The speech of the prophets in the Holy Quran and the Torah, a comparative study

Prof. Dr. Eman El -Sultany
University of Kufa, College of Education for Girls
Prof. Dr. Fikri Jawad
University of Kufa/College of Studies
M. M. Safaa Abdul Hakim Hassan Al-Bakaa
University of Kufa
College of Education for Girls

Abstracts:

The paths of pragmatics in general and pragmatics in particular went through stages of development and revisions, in which O. Dekro tried to develop his project. And after conducting a critical tour of some studies and linguistic works that adopt the idea of a single speaker for the uttered, he expanded his phonemic perception of the single speaker to give him a new pluralistic character, as he believes that the uttered saying is not limited to the speaking self, but rather other entities that hide behind the speaker's voice participate in it. Modernization and renewal in order for his theory to fit the new data of the discursive phenomenon.

Keywords: (speaker, utterer, negation, point of view, context, pluralism).

المقدمة:

مرّت مسارات التّداوليّة بشكل عام والتّداوليّة المدمجة بشكل خاص بمراحل تطوّر و مراجعات، حاول فيها أ.ديكرو تطوير مشروعه، فعمل على دراسة الحجاج من منظور الأصواتيّة بعدما كان يدرس الأفعال اللغويّة حجاجياً، فهو يبحث دائماً عن موضوعات جديدة، إذ عمل على صياغة القديم من منظور جديد، إذ أنّ "فِكره في حركيّة دائبة، حركيّة انعكست على جهازه الاصطلاحيّ والمفهوميّ وعلى مرجعيّاته النّظريّة، ويُخشى، إن لم تُراعَ هذه الاعتبارات جميعها، من أن يرى في هذه الحركيّة اضطراب وأن تُحمل على التّناقض،....ما جعله لا ينصح أصحاب النّفوس المضطربة بقراءته" [١]، كل ذلك التّحديث والتّجديد لكي تواءم نظريته المعطيات الجديدة للظّاهرة الخطابيّة.

إنّ جوهر نظريّته (التّداوليّة المدمجة)هي دمج مظاهر عملية القول في اللسان؛ لذا فإنّ نظرية التّعدد الصّوتيّ تندرج في إطار التّداولية المدمجة الّتي ترى أنّ النّظام اللغويّ وضع لغاية التّواصل، لأنّ معنى القول له ارتباط وثيق بعملية قوله، لذا فهي تعكس عملية القول أو تشير إليها، وترى أنّ اللسان ليس مجموعة من الإمكانيات النّحويّة داخل الجملة فحسب بل تتعداه إلى حسن ائتلاف المتتاليات من الجمل بالاعتماد على مجموعة من القواعد التي تشكل معاً بنيويّة الخطاب المثالي [٢]، وتؤكد رؤيتها في العلاقة بين الأقوال بأنّها علاقة حجاجيّة لا استنتاجيّة، و أنّ عملية إلقاء القول- أي النّشاط الذي يكون وراء إنتاج الأقوال- بنية معقّدة من أحداث الخطاب ذات وظائف مختلفة، وعليه يُميّز الباحثون بين المتكلم و القائل من الذّات المتكلمة في الواقع، ومن ثم يميزون ضمن تجليات المتكلم وصور تحقق المتكلم في حد ذاته من المتكلم بوصفه كائنا من كائنات العالم، لهذا استلزمت التّداوليّة المدمجة القول بنظريّة تعدد الأصوات [٣].

ديكرو والتّعدّديّة الصّوتيّة

قام ديكرو بجولة نقديّة في بعض الدّراسات والأعمال اللّسانيّة التي تتبنى فكرة النّاطق الواحد للملفوظ، ومن ثم بَسَطَ تصوّره الأصواتيّ للمتكلم الواحد ليضفي عليه طابعاً تعدّدياً جديداً، رَغبة منه لتأسيس تداوليّة للتّلفظ، وعلى هذا الأساس " بنى ديكرو تصوراً جديداً للمعنى قام على مفهوم تعدّد الأصوات ليقرَ بإمكانيه اختفاء أصوات أخرى وراء المتكلم يختلف أصحابها عنه اختلافاً يجعل ذلك المتكلم احياناً يتخلص من مسؤوليّة التّلفظ ببعض ما قيل، ويستشهد ديكرو مثلاً بالسؤال: هل أعدتُ لك كتابك؟، حيث يُقدم المتكلم على أنّه هو المستفهم وإن كان المتلفّظ الحقيقي بالسؤال هو المخاطَب" (٤)، فليس من الضروري أن يكون تعدّد الأصوات في الخطاب ناجماً عن تعدّد الفواعل، لأنّ هناك بعض الأبنية اللّغويّة تسمح بتضمين متحدث آخر في النّصّ ذاته بشكل غير مباشر وبعد ذلك تعمد إلى رفضه أو تأييده (٥).

يصف د. طه عبد الرحمن نظرية ديكرو بأنّها نظريّة قارّة في تحليل الخطاب، ويلخّصها بـ "أنّ القول المنطوق لا تقوم به ذاتٌ واحدةٌ، وإنّما تشارك في القيام به ذوات كثيرة كما لو كانت أصواتاً مختلفة تأتلف فيما بينها للنّطق به في مرة واحدة، ولا تقتصر هذه الذّوات على ذات المتكلم الذي تولّى النّطق بالقول، وذات المستمع الذي توجّه إليه هذا القول، وإنّما تتعداهما إلى ذوات أخرى تكون هي المسؤولة عن الأغراض الكلاميّة التي يحملها هذا القول" (٦).

وبيّن ديكرو من الضروري التمييز بين العناصر التالية (الذّات النّاطقة، و المتكلم، و المتلفظ) (٧):

فالذّات النّاطقة أو (المتكلمة): هو الكائن الذي يبتكر الأحداث ومصدر الجملة المنطوقة أي(الفرد الذي يتلفّظ فيزيائياً بملفوظه) وتتصف بما يلي [٨]:

– إنّها المنتج الحقيقيّ للملفوظ، والمسؤولة عنه جسديّاً وفكريّاً لأنّها تعمل على اختيار الكلمات و الإحكام في البناء و تطبيق القواعد النّحويّة لصياغة ملفوظاتها.

– إنّها المسؤولة عن الفعل الإنجازيّ المتحقق عبر إنتاج الملفوظ كالأمر والنّهي،....

– الذّات النّاطقة قادرة على الظهورعن طريق بعض العلامات اللّسانية، مثل الضّمائر المتصلة والمنفصلة.

– الذّات النّاطقة ترادف الكاتب الحقيقيّ في الأعمال الأدبيّة.

أمّا المتكلّم: يحيل إلى حضور خطابيّ من الدّرجة الأولى؛ لأنّه يتحمل مسؤولية العلامات اللّسانيّة، والأفعال الإنجازيّة المتحققة في الملفوظ، فإليه يحيل الضمير(أنا) وسائر العلامات الأخرى المرتبطة به، وهو الذي يستحضر تلك الأحداث التي ابتكرتها الذّات المتكلمة، إنّ المتكلم من وجهة نظر ديكرو مشابه للمخرج في الأعمال الأدبية الذي يقوم بدوره بتوزيع الأدوار داخل الخطاب، وللتمييز بيّن المتكلم والذّات النّاطقة لجأ ديكرو إلى حقل السّرديّات مع رائدها جيرار جينت [٩] ليوضح:

١. إنّ المتكلم يرادف السارد في نظريّة السّرد، بينما تقابل الذّات النّاطقة الكاتب.
٢. إنّ المتكلم هو المسؤول عن الملفوظ مثلما أنّ السّارد مسؤول عن السرد.
٣. إنّ وجود المتكلم ليس تجريبيّاً ولا حقيقيّاً؛ لأنّ حضوره لا يعدو الملفوظ والخطاب، مثلما أنّ وجود السّارد يظل خيالياً؛ لأنّ مساحة وجوده وتحرّكه هي القصة.

أمّا بالنسبة إلى **المتلفّظ:** فهو عبارة عن كائن خطابيّ يطابق وجهة نظر محدّدة، وهو يحيل إلى كل موقف أو رأي معبّر عنه في الملفوظ، له نفس وظيفة الشّخصية داخل الخطاب السّرديّ.

وما يهمنا في عملنا من المقترحات والتّحديدات الّتي قدَمها ديكرو هو ضرورة التّمييز بنمطين من الذّوات الفاعلة داخل العملية التّلفّظية، وهما المتكلّم والمتلفّظ، فما المقصود بالمتكلم؟ وما المقصود بالمتلفظ؟

المتكلم هو الشّخص الذي يردُ في خطاب ما بوصفه المسؤول عن الملفوظ، وإليه يحيل ضمير الأنا وسائر العلامات الأخرى المرتبطة به [١٠]، أمّا المتلفّظ هو الشّخص الذي يفترض أنّه يعبر عن ذاته داخل الفاعليّة التّلفّظيّة دون أن يكون ذلك من خلال الكلام الصّريح والمباشر فـ(كلامه) هو يوحي به التلفظ، وممّا يجب ملاحظته أنّه غالباً ما يردُ في التّلفظ الذي ينسب إلى متكلم مخصوص ما يعبر عن وجهات نظر المتلفظين الأخرين ومواقفهم ووضعهم من دون أن يكون لهم قولٌ بالمعنى الملموس [١١]، ومن الجدير بالذكر أنّ علاقة المتكلم بالمتلفظ تتخذ اشكالاً أربعة، هي: التطابق، التباعد، التواري، التوافق [١٢].

وقد تهيأ لديكرو ذات مرة أن يقول إنّ المتكلم يتماهى مع المتلفظ أو يحلُّ فيه [١٣]، فعمل ديكرو على إدماج هذه الكيانات المتعددة من أجل إطراح مسلّمة وحدة الذّات المتكلمة، ولابد من الإشارة إلى أنّ هذه الكيانات تتناسب مع كائنات نظريّة وليسوا أفراداً موجودين في العالم، فالذّات المتكلمة الفرد الماثل في العالم الذي يقوم بعملية التّلفظ بالقول، أمّا المتكلم والمتلفظين فأنّهم يظلّون كائنات نظرية لا تتجسّم [١٤].

ونذكر من باب المفارقة أنّ الوضع في الأصواتية مختلف، فقد سبق أن ألحّ ديكرو على استبعاد كل ما يتعلق بمصدر التّلفّظ (منتج الكلام)؛ لأنّ الدّراسة اللّسانيّة يقتصر اشتغالها على وصف اللغة، وتبتعد عن جميع الوقائع الخارجية الأخرى، إلّا أنّه في هذا المقام اختلف الوضع، فقد أعطى ديكرو وصفاً لجانب مخصوص من فعل التّلفّظ؛ لأنّه يدخل في تكوين المعاني للملفوظات، وهذا الوصف يقتضي تعيين ذات فاعلة (أو أكثر)لإسنادها إلى الفعل التّلفظيّ وبالتّالي فإنّ هذه الذّات (أوالذّوات) تكون مصدر للفعل التّلفظيّ ومرجعه، بحيث تكون حيثية حاضرة للملفوظ ذاته ومكونه لمعناه؛ لذا لا ينبغي اسقاطها لأنّ ذلك يجعل هذا الوصف ناقصاً [١٥].

سنتناول في هذا البحث واسما صوتيّا له دورٌ بارزٌ و مهمٌ في نظريّة التّعدد الأصواتيّ، وهو:

النّفي الجدليّ

يُعدّ النّفي الواسم الأبرز للّتّعدّد الصّوتيّ في النّظرية المدمجة، سواء أكان على مستوى الملفوظ، أم على مستوى النّصّ، لذلك فإنّ أيّة دراسة تداوليّة تتطرق إلى موضوع التّعدّد الصّوتيّ لابدَ لها من إثارة موضوع النّفي وإشكالاته، والنّفي الجدليّ هو الذي يعنينا في هذا الموضوع لأنّه يندرج من ضمن استراتيجيات الحجاج، فيؤدي دور الاعتراض فيها مقترناً بظاهرة تعدّد الأصوات الخطابية [١٦]، ومفهوم النّفي الأصواتيّ أساسه في ثنائية **(شارل بالي):** " الموضوع ـ التعليق" من جهة، ومن نظرية الأفعال اللغويّة **لأوستين وسيرل** من جهة أخرى، فحسب رأي **بالي** يمكن تحليل الملفوظ انطلاقاً من فحص العنصرين المكونين له: الموضوع والتّعليق (أو الموقف) الذي يتخذه المتكلم من كلامه، والنّفي يُنظر إليه

بوصفه موجهاً للدّحض، وهي فكرة قريبة من فكرة تعدّديّة الأصوات [١٧]، أي أنّ النّفي يكون طارئاً على الإثبات أو تابعاً له، لذلك يبدو التّلفظ حين يقترن بالنفي وكأنّه اعتراض على إثبات سبق إيراده فعلاً من متلفّظ حقيقيّ أو مفترض [١٨].

أمّا سيرل فيرى أنّ معنى أي ملفوظ، ما هو إلا إنجاز المتكلم لعمل في القول؛ لذا فإنّ النّفي بحسب رأيه يمثل قوة متضمّنة في القول ومسلطة على المحتوى [١٩].

ثم بدأ ديكرو انطلاقاً من هذه الملاحظات في تحليله للنّفي الأصواتيّ ضمن نظريته المعروفة بـ(التّداوليّة المدمجة)، والجديد الذي جاء به في مقاربته هو إمكانية تفسير النّفي على مستوى التّلفظ وظهوره لغويّاً في البنية اللغويّة للملفوظ، ثمّ جاء موشلر بعد (ديكرو و سيرل) ونحا نحواً مغايراً، في تفسيره لظاهرة التّعدّد الصّوتيّ المحمولة في النّفي، وذلك عندما وضحّ كيفية وصف بعض الوظائف الخطابيّة للنّفي بوصفه قوة متضمّنة في القول للدّحض [٢٠].

وفي إطار نظريّة التّعدّد الصّوتيّ ميز ديكرو ثلاث صور للنّفي [٢١]:

١. نفي ميتالغويّ: يأتي لينقضَ أو يدحضَ قولاً وقع التلفظ به حقاً، ينماز هذا النّوع من النّفي بأنّه يسمح بأن تُلغى صراحة مقتضيات القول الموجب الموافق له و يهيء أثر مبالغة و تكثير.
٢. نفي جدليّ: يختص هذا النوع بأنّ القول الموجب الموافق له ليس شرطاً أن يُتلفّظ به، وهذا وجه الاختلاف عن الميتالغويّ.
٣. نفي وصفيّ: قول مشتق من النّفي الجدليّ، أي بمعنى أنّ المتكلم يُنشيء قولاً منفياً ينسب إلى الفاعل خاصّيّة زائفة، تبرّر موقف المتكلم من النّفي الجدليّ.

على الرغم من أنّ التّعدّد الأصواتيّ متجذر إلى أقصى الحدود في جهاز اللغة ونظامها للتّعبير عن مختلف حاجيات المتكلم و في مقامات مختلفة [٢٢]، إلّا أنّ كل التّحليل الأصواتيّ لا يلائم الملفوظات المنفية، وهذا ما دعا الدّلاليون إلى التّمييز بين النّفي الجدليّ والنّفي الوصفيّ، فالنّفي الوصفي يختص بالجملة، ووظيفته إثبات محتوى منفي، بمعنى أنّ النّفي جزء لا يتجزأ من محتوى الجملة، بينما النّفي الجدليّ يختص بحالة التّلفّظ، فينظر إليه على أنّه فعل نفي، بمعنى رفض محتوى مثبت في وقت سابق من طرف متلفّظ يختلف عن المتكلم، ويتميز النّفي الجدليّ بوصفه استراتيجيّة حجاجيّة جوهرها الاعتراض على ملفوظ سابق، بناءً على قيمته التّداوليّة كونه مرتبط بتعدّد الأصوات، فهو يستحضر متلفّظَين: المتلفّظ الأول: صاحب الملفوظ المثبت السابق، والمتلفّظ الثاني: هو المتكلم (النّاطق بالقول) الذي بدوره يرفض هذا الإثبات، والمثال التّالي يوضح المسألة:

لا أستطيع القيام بكل شيء وحدي

وجـ ن١: أستطيع القيام بكل شيء وحدي .

وجـ ن٢: لا أستطيع القيام بكل شيء وحدي .

فالمتكلم يقدّم نفسه في صورة المسؤول عن وجهة النّظر(٢)، ويرتبط برابط مسؤولية مع محتوى الجملة المنفية، أمّا الملفوظ المنفي يؤخذ على أنّه اعتراض على وجهة النّظر(١) التي تكون (حقيقية أو متخيلة)؛ لذا ينبغي البحث دائماً عن التّعليمات الموجودة في السّياق للوصول إلى التّأويل المقبول للنفي [٢٣].

فالنّفي ليس مجرد علاقة تقابل أو تضاد أو سير في اتجاهين متعاكسين، ولا هو يتطلب صورتي التّناقض أو العكس ضرورة حتمية (حسب رأي المناطقة)، إنّما اللعبة في منطق

الخطاب أوسع مدى وأشدّ تنوعاً في أهدافها وأغراضها، فالنّفي يكون فعلاً قُصد منه التّأثير بالقول وتكذيب الاعتقاد السابق (المثبت) الصادر عن صاحب الإثبات المردود [٢٤].

يضع (ديكرو و موشلار و دللر) معاييراً لتّأويل النّفي الجدليّ وهي [٢٥]:

١. حيز النّفي: يخضع هذا المعيار إلى القواعد التّركيبيّة الدّلاليّة، فالنّفي إذا استغرق جملة كاملة، فيكون حيزه واسعاً، ويسمى (نفي جملة)، نحو سعيد لا يقرأ، وقد يقتصر النفي في مركب واحد من مركبات الجملة فقط، مثلاً يكون ذلك المركب الرّديف هو المفعول المطلق(كثيراً)، فيصبح حيزه محدودا، ويسمى عندئذ(نفي مركب) كقولنا: سعيد لا يقرأ كثيرا.

٢. الطّبيعة الدّلاليّة للمركب المنفي: لها أثرٌ بيّن في تأويل وظيفة النّفي، فهناك ظاهرتان تؤثران على أصواتيّة الملفوظ المنفي وهما: الألفاظ التّدرجيّة و العبارات الجهية، ففي قولنا(فلان ليس شقياً)، يكون اللفظ (شقي) تدرجياً، بمعنى أنّ نفي اللفظ التّدرجي لا يستدعي استبداله بضده (سعيد) الذي هو ضد الشقي، فقولنا (ليس شقياً) قد يعني (أنّه سعيد قليلاً) أو(أنّه سعيد بعض الشيء)، أمّا العبارات الجهية مثل الأفعال الجهية (أمكن ـه ، ووجب عليه)، تحمل هذه الأفعال في دلالتها فكرة البديل أي الأصواتيّة.

٣. السّياق التفاعلي: يتكون هذا السّياق من العلاقات الجمليّة القائمة بين الملفوظ المنفي المكوّن من(وجـ ن١، وجـ ن٢) ومحيطه اللغويّ، وهذه العلاقة بين وجهتي نظر الملفوظ المنفي وسياقه هي التي ينطلق منها التّأويل الأصواتيّ.

في قوله تعالى: **(قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)**[٢٦] ، نجد الخطاب القرآنيّ يدور بين النّبي يعقوب عليه السلام وأولاده محاولة منهم لإقناعه بأن يُرسل أخاهم(بنيامين) معهم، فالملفوظ المنفي **(لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ)**، مُسلّط على الجملة كلها كون المسند هو(بؤرة النفي).

وجـ ن١: **فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا.**

وجـ ن٢: **لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ.**

فوجهة النّظر الأولى تمّ استحضارها من عناصر النّصّ اللغويّ من الإحالات القبليّة التي سبقت جملة النّفي في قوله تعالى: **(فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [٢٧]، فالسّياق الأصغر أو السياق الأكبر من المعايير التي تُسهم في تأويل النّفي الجدلي [٢٨]، إذ أنّ" الإثبات حاضر في النّفي بطريقة أساسيّة أكثر من طريقة حضور النّفي في الإثبات"[٢٩]، و تُسند إلى متلفظ ثانٍ وهم أولاد يعقوب عليه السلام بوصفهم شركاء يتلقّون الملفوظ و يتفاعلون معه، ويتكفلون بالرأي المخالف، ووجهة النّظر هذه كامنة في الملفوظ استنفرها النّفي بوساطة السّياق النّصيّ. أمّا وجهة النّظر الثّانية تُسند إلى النّبي يعقوب عليه السلام **(لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ)**، وقد تلفّظ بذلك لشدّة خوفه من فقدان بنيامين مثلما فقد يوسف من قبل، وهو المتكلم الذي يُقدّم نفسه في صورة المسؤول الذي يتحمل كل ما ورد في وجهة النّظر هذه.

وبما أنّ النّفي يتضمن تعليمات تفيد وجود فعلين كلاميّين هما:

١. فعل الإثبات: الذي يعود إلى متلفظ ثان وهم أولاد يعقوب عليه السلام وهو فعل موجّه إلى أبيهم (المتكلم) وهو المتلفظ بالنفي على اعتبار أنّ (المتكلم) في مقام محاورة وردّ

على الإثبات ودحضه، فالملاحظ أنّ فعل الإثبات قول (مضمر) يتمّ تحديده اعتماداً على وصف الواسم الصّوتي المتمثل في حرف النفي (لن)، الذي بدوره استنفر ظاهرة التّعدّد الأصواتيّ في هذا الملفوظ.

٢. فعل دحض الإثبات: المسند إلى المتكلم بوساطة النفي(**لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ**)، وهو فعل موجّه إلى المتلفّظ الثّاني وهم أولاد يعقوب عليه السلام، المنجزين فعل الإثبات، المستمعين، والشركاء في التلفظ.

أمّا الخطاب التّوراتيّ: **וַיֹּאמֶר, לֹא-יֵרֵד בְּנִי עִמָּכֶם: כִּי-אָחִיו מֵת וְהוּא לְבַדּוֹ נִשְׁאָר, וּקְרָאָהוּ אָסוֹן בַּדֶּרֶךְ אֲשֶׁר תֵּלְכוּ-בָהּ, וְהוֹרַדְתֶּם אֶת-שֵׂיבָתִי בְּיָגוֹן, שְׁאוֹלָה** (٣٠).

فقال: لن يذهب ابني معكم فقد مات أخوه، وهو وحده باقٍ. فإن ناله مكروهٌ في الطريق الذي تذهبون فيه فإنّكم تُنزلون شيبتي بحُزنٍ إلى قبري (٣١) .

نجد في الخطاب التّوراتيّ اللفظ المنفي (**לֹא-יֵרֵד** / لن يذهب) قد تسلّط عل الجملة كلها (بؤرة النفي هو المسند) وباستقراء عناصر السّياق الأصغر (النصّي) يتبيّن لنا أنّ هذا النفي جدليّ، ومن ثمّ فهو قابلٌ للتّحليل الأصواتيّ، فالّسياق في الخطاب التوراتيّ حواري قائم بين النّبي يعقوب عليه السلام وأبنائه محاولةً منهم لإقناعه بإرسال أخيهم الأصغر(بنيامين) (٣٢)، وذلك بسبب طلب عزيز مصر أن يجلبوا أخاهم الصغير(**וְהָבִיאוּ אֶת-אֲחִיכֶם הַקָּטֹן, אֵלָי** واجلبوا أخاكم الصغير إلي)، وعليه يحضر في الملفوظ المنفي صورتان يتبنى كل واحدٍ منهما وجهة نظره:

وجـ ن١: **يرد اخينا عمنا** يذهب أخانا معنا.

وجـ ن٢: **לֹא-יֵרֵד בִּנְיָמִן עִמָּכֶם** لا يذهب ابني معكم.

وجهة النّظر الأولى (**ירד אחינו עמנו**) دلالة صوتيّة جماعيّة ضمنيّة (مضمرة) تعود إلى متلفظ ثانٍ وهم أولاد يعقوب ﷺ، وهؤلاء المتلفّظون يحملون الموقف المخالف لموقف أبيهم، ويحاولون أقناعه؛ لإرسال بنيامين معهم، وتعهد رأوبين بعودة بنيامين إلى أبيه مرة ثانية (**וְאֲנִי אֲשִׁיבֶנּוּ אֵלֶיךָ**/ وأنا أعيده إليك)، ووجهة النّظر هذه موجودة في الملفوظ، استنفرها ملفوظ النّفي بمعونة السّياق النّصّي السّابق لما ذُكر من طلب عزيز مصر.

أمّا وجهة النّظر الثّانية تُسند إلى المتكلم يعقوب ﷺ التي بدورها ظهرت على البنية السّطحية على شكل دلالة صوتية مباشرة يتكفلها المتكلّم ويتبناها ويتماهى معها، بمعنى أنّ النّبي يعقوب ﷺ تلفّظ بالملفوظ المنفي(**לֹא-יֵרֵד בִּנְיָמִן עִמָּכֶם**)خوفاً من أن يفقد أحد أبنائه بعد فقد يوسف، وشمعون الذي احتفظ به عزيز مصر لحين مجيئهم بأخيهم الأصغر(**וַיֹּאמֶר אֲלֵהֶם יַעֲקֹב אֲבִיהֶם, אֹתִי שִׁכַּלְתֶּם: יוֹסֵף אֵינֶנּוּ, וְשִׁמְעוֹן אֵינֶנּוּ, וְאֶת-בִּנְיָמִן תִּקָּחוּ, עָלַי הָיוּ כֻלָּנָה** [٣٣]/ فقال لهم يعقوب أبوهم قد اثكلتموني. يوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه عليّ نزلت هذه كلها).

نستنتج ممّا سبق ومن طريق التّحليل الأصواتيّ للنّفي الجدليّ، سواء أكان بالخطاب القرآنيّ، أمّ بالخطاب التّوراتيّ، إنّ الملفوظ المنفي تركيب التقت في فضاء بنيته وجهتا نظر مختلفتين أنجزتا لحظة التلفظ به، أحدهما ظاهرة والأخرى مضمرة نستحضرها عن طريق الملفوظ المنفي، وبالتّضافر مع القرائن السّياقية والنّصّية المحيطة بالنصّ.

وقد تمّ تطبيق النّفي الجدليّ على الخطابين اللذين بدا متقاربين في فكرة المضمون الكلّي مع بعض الاختلافات التي تعود إلى طبيعة كل لغة منهما وخصوصيتها، وحصيلة المقارنة بين الخطابين القرآنيّ والتوراتيّ كانت:

١.لغة الخطاب القرآنيّ استعملت حرف النّفي(لن) الخاص بالفعل المضارع الذي يفيد النّفي والنّصب ويحول زمن المضارع إلى المستقبل المؤكد [٣٤]، أمّا الخطاب التّوراتيّ استعمل حرف النّفي(**לֹא** لا) مع زمن المضارع المستقبل، وأفاد نفي المستقبل أيضاً [٣٥]، ورغم اختلاف شكل الأداتين إلّا أنّهما عملتا على نفي المستقبل.

٢.تشابه إسناد وجهتي النّظر المتكلم / فعل دحض الإثبات وهو النّبي يعقوب عليه السلام، وللمتلفّظ الثاني (المضمر)المتبني فعل الأثبات، وهم أولاد يعقوب عليه السلام.

٣.في كلا الخطابين وجهة النّظرالأولى استنفرها النّفي بوساطة السّياق النصّي السّابق للملفوظ المنفي.

٤.فضلاً عن ذلك وجهة النّظر الثّانية المنفية حاضرة كدلالة صوتية مباشرة على سطح الخطاب، تلفّظ بها المتكلم (يعقوب)؛ خوفا من فقد بنيامين.

٥.نجد اللفظ المنفيُ مسلّط على الجملة كلها(نفي جملة)، فالمسند(الفعل) هو بؤرة النفي: **(لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ)** في الخطاب القرآنيّ، وفي الخطاب التّوراتيّ **(לֹא-יֵרֵד בְּנִי עִמָּכֶם)** لا يذهب ابني معكم.

وفي قوله تعالى: **(وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)**

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ)[٣٦]، نجد حواريّة الخطاب القرآنيّ القائمة بين النّبي لوط ﷺ وقومه الذين كانوا يقترفون المعاصي ويأتون بالمنكرات، فالملفوظ المنفي في قوله تعالى **(مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ)** يندرج ضمن النّفي الجدليّ الذي يتضمن في طياته دلالتين متضادتين لوجهتي نظرٍ من متلفظين مختلفين وهما:

وجـ ن١ : لكم في بناتي حقٍ .

وجـ ٢: مالنا في بناتك من حقٍ .

وجهة النّظر الأولى (وجـ ن١) تُسند إلى متلفظ ثانٍ، وهو معيّن في الملفوظ بوساطة ضمير المخاطب (ك) في كلمة (بناتك)، وبذلك يكون النّبي لوط ﷺ متلفظ شريك يتلقى الملفوظ ويتفاعل معه، ومن ثمَّ يتبنى الرّأي المخالف، ووجهة نظره هذه كامنة في الملفوظ ، عمل النّفي على استنباطها عن طريق معيار السّياق النّصّي (السّياق الأصغر) في قوله**(يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)**، ولكن لرسوخ مَلَكة الفحشاء واستقرارها في نفوسهم، فقد سُلبوا نعمة سماع النّصيحة والموعظة، لذلك بدأ لوط ﷺ بعرض بناته عليهم [٣٧].

أمّا وجهة النّظر الثّانيّة (وجـ ن٢) تُسند إلى المتكلم الذي يُعيّن نفسه عن طريق ضمير الجماعة (نا)، بوساطة رابط الموافقة على رأي يُنسب إلى صوت جماعي وهو صوت (قوم لوط) فضلاً عن ذلك فإنّ الصّوت الجماعيّ يتماهى معه المتكلم، ويتبناه وبالتّالي يعلن كفالته للتّلفظ به .

ووجهة النّظر الثّانيّة(وجـ ن٢) دلالة صوتية مباشرة ظهرت في البنية السّطحية ممثلة في الرّأي المضاد والموقف المخالف للمتلفظ بوساطة النّفي**(مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ)**، فوجهة

النّظر هذه متأصّل معناها في أذهانهم، وهذا المعنى تذكره الآية السابقة **(قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ)** [٣٨]، وهذا يدلّ على أنّ حوارهم حمل استراتيجية النّفي في أكثر من موضع ليتشكّل الحجاج المضاد، وممّا يُلحظ في قولهم ورود أكثر من مؤكد لبيان مرادهم وتأكيد قصدهم الذي يرمون إليه، فجاءت لام التوكيد مع حرف التوكيد(قد) لتوكيد الفعل الماضي (علمت) تأكيداً لكونه يعلم قصدهم، فضلا عن حرف الجر الزائد(من)الداخل على اسم(ما الحجازية)، وكذلك التوكيد في عبارة(أنك لتعلمُ ما نريد) فالحرف المشبه(أنّ) للتوكيد مع اللام المزحلقة الدّاخلة على خبرها أيضاً أفادت وعبرت عن غايتهم وهي نحن نعلم أنّك قد "علمت ما لنا رغبة في بناتك و أنك تعلم مرادنا" [٣٩]،فجاءت المؤكّدات لمساندة قوة الملفوظ المنفي وغايته، رغم أنّه طارىء على الكلام في لحظة تلفظه إلا أنّه كان هو الموجه للرأي السائد آنذاك.

أمّا في الخطاب التّوراتيّ: וַיִּקְרְאוּ אֶל־לוֹט וַיֹּאמְרוּ לוֹ، אַיֵּה הָאֲנָשִׁים אֲשֶׁר־בָּאוּ אֵלֶיךָ הַלָּיְלָה؛ הוֹצִיאֵם אֵלֵינוּ، וְנֵדְעָה אֹתָם .וַיֵּצֵא אֲלֵהֶם לוֹט، הַפֶּתְחָה؛ וְהַדֶּלֶת، סָגַר אַחֲרָיו .וַיֹּאמַר: אַל־נָא אַחַי، תָּרֵעוּ[٤٠] .

فنادوا لوطاً وقالوا لهُ أين الرجلان اللذان قدما إليك في هذه الليلة أخرجهما إلينا حتى نعرفُهما، فخرج إليهم لوطٌ إلى الباب وأغلق الباب وراءه، ها أنذا لي ابنتانِ ما عرفتا رجُلا أُخرجُهما إليكم فاصنعوا بهما ما حَسُن عندكم و أما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لأنهما دخلا تحت ظل سقفي [٤١].

نجد تركيب الملفوظ المنفي **(לֹא־יָדְעוּ אִישׁ)** لا يحمل في طياته وجهتي نظر متضادتين، على الرغم من أنّ المقام مقام حوار بين النّبي لوط ﷺ وقومه، إلا أنّنا لا نجد استراتيجيّة

حجاجيّة لأنّه ليس نفي جدلي وإنّما(نفي وصفي)، فلا وجود لوجهتي نظر مختلفتين ولا لمتلفظين مختلفين، وإنّما هو رأي أراد به النّبي لوط ﷺ أن يصف حال أبنتيه، و لا يريد به معارضة وجهة نظر ثانية في الملفوظ أو دحض رأي آخر، فتلفظه بالجملة المنفية (**לֹא־יָדְעוּ אִישׁ** لا تعرفان رجلا) يمكن أن نعيد صياغتها بجملة مثبتة، وهي (**שתי בנות בתולות**) بناتي عذراوات.

ممّا سبق نلحظ أنّ الخطاب القرآنيّ المتضمّن لقصة النّبيّ لوط ﷺ قد حملَ في طياته نفي جدليّ من خلال الحواريّة القائمة بين لوط ﷺ وقومه، فوجدنا في الملفوظ المنفي وجهتي نظر مختلفتين ظهرت عن طريق استراتيجية النّفي الجدليّ، وما فيه من تعارض وتضاد وتباين في الآراء، فوجهة النّظر الثّانية المتضمنة في الملفوظ المنفي التي نستنبطها بتطبيق قاعدة النّفي، وتبنّي المتكلم وجهة النّظر الأولى عن طريق معرفته المسبقة، وهو ما حفزّ القول وأكسبه قوة حجاجيّة قائمة على استراتيجيّة النّفي، وهي استراتيجية شديدة الارتباط بظاهرة التّعدّد الصّوتيّ، وفي الخطاب التّوراتيّ لم نجد استراتيجية النّفي الجدليّ حاضرة في حواريّة النّبيّ لوط ﷺ مع قومه، وإنّما وجدنا صوراً للنّفي الوصفيّ الذي يخلو من الجدل والمعارضة والتّباين.

وممّا لوحظ أنّ "الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام"[٤٢]، إلّا أنّنا نجد الخطاب القرآنيّ الخاصّ بالنّبيّ لوط ﷺ قد توسّع في ذكر حواريّته مع قومه في عدّة مواضع حتى ظهرت الصّورة واضحة وجليّة عن طريق تضافر السّياق النّصّي الأصغر والسّياق النّصّي الأكبر، بينما في الخطاب التّوراتيّ على الرغم من الإطناب والتّكرار المسهب في نصوصه إلا أنّ الخطاب الخاص بالنّبيّ لوط ﷺ كان

مجملاً بعض الشّيء؛ لذا لم نجد للنّفي الجدليّ مكاناً فيه، وكان للنّفيّ الوصفيّ حضور كما في مثالنا السّابق، ولعل هذا هو سبب الاختلاف؛ لذا فليس كل نفي يمكن أن يُعدَّ واسما صوتيا ما لم تتوفر فيه شروط تركيبيّة ودلاليّة وتداوليّة.

الهوامش

(١) القول والمقول: ٨.

(٢) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية :٨٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٨٥ .

(٤) ينظر: السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل: ١٢٥.

(٥) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص:٩٤.

(٦) اللسان والميزان: ٢٨.

(٧) ينظر: معجم تحليل الخطاب : ٥٤٢.

(٨) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها : ١٣٨.

(٩) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ١٣٨ ، ينظر: معجم تحليل الخطاب:٥٤٢.

(١٠) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ٩٨ ، ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج : ١٥٨.

(١١) ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج : ١٦٩.

(١٢) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها : ١٣٩.

(١٣) ينظر: استدراكات لضبط مفهوم التعدد الصوتي ، ماريون كاريل و أوزوالد ديكرو: ٩٠.

(١٤) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية : ٣٥٠.

(١٥) ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج : ١٥٦-١٥٧.

(١٦) ينظر: الكتابة ورهانات الإقناع : ١٣٣.

(١٧) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان: ٦٩٥ ، ينظر: التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة (ازفالد ديكرو أنموذجا): ٩٩ .

(١٨) ينظر: إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ٦٥.

(١٩) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان : ٦٩٥ ، ٦٩٦.

(٢٠) ينظر: التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة : ٩٩.

(٢١) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية : ٣٥٢ ، ٣٥٣.

(٢٢) ينظر: إنشاء النفي : ٨٤.

(٢٣) ينظر: واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي النفي نموذجاً: ١١٦-١٢٥.

(٢٤) ينظر: دائرة الأعمال اللغوية : ١٩٠.

(٢٥) ينظر: الكتابة ورهانات الإقناع : ١٣٧-١٣٩.

(٢٦) سورة يوسف : ٦٦.

(٢٧) سورة يوسف : ٦٣.

(٢٨) ينظر: واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي : ١٩٩.

(٢٩) القول والمقول: ٢٠٨.

(٣٠) בראשית: מב:לח .

(٣١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٠٩.

(٣٢) من المعلومات المتفق عليها بين القرآن الكريم والتوراة، هو أن بنيامين الأخ الوحيد ليوسف من أمه ، ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس : ١٠٨ ، ينظر: الطبري: ٢١/١٣.

(٣٣) בראשית: מב:לו .

(٣٤) ينظر: النحو الوافي: ٤/ ٢٥٢.

(٣٥) ينظر: في النحو المقارن بين العربية والعبرية: ٩٢ ، ينظر: دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة: ١١٩ .

(٣٦) سورة هود : ٧٨، ٧٩ .

(٣٧) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٨٣/١٠ .

(٣٨) سورة الحجر : ٧٠ .

(٣٩) التحرير والتنوير: ١٢٩/١٢ .

(٤٠) בראשית: יט:ה، ו،ז .

(٤١) الكتاب المقدس :٣٣/١.

(٤٢) كتاب الحيوان : ٩٤/١.

المصادر:

القرآن الكريم

التّوراة

١. استدراكات لضبط مفهوم التعدد الصوتي ، ماريون كاريل و أوزوالد ديكرو، تر: د.بشير دردار ، مجلة المعيار ، المجلد العاشر ، العدد الأول ، مارس ٢٠١٩م.

٢. إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، شكري المبخوت، مركز النشر الجامعي، تونس،(د. ط)، ٢٠٠٦م.

٣. بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ١٩٩٢م.

٤. التحرير والتنوير، الشيخ محمد طاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، (د.ت)، (د. ط).

٥. التداولية أصولها واتجاهاتها ، جواد ختام ،دار كنوز المعرفة للنشر،عمان،ط١، ٢٠١٦م.

٦. التعدد الصوتي في البلاغة الجديدة (ازفالد ديكرو أنموذجا)،د.فالح عبدالله شلاهي،د.مؤيد آل صوينت، مجلة كلية التربية، جامعة واسط،(ع٣٨)(ج١)، ٢٠٢٠م.

٧. التفسير التّطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د.ت).

٨. تفسير الطبري " جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ه)، تح: د. عبدالله بن المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ، ط١، ٢٠٠١م.

٩. دائرة الأعمال اللغويّة، شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، ط١، ٢٠١٠م.

١٠. دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة ، د. سلوى غريسة ، مركز النشر الجامعي ، ٢٠٠٤م.

١١. السؤال البلاغي الإنشاء والتأويل، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، دار محمد علي للنشر،ط٢ ، ٢٠٠٧م.

١٢. في النحو المقارن بين العربية والعبرية، د. سيد سليمان عليان، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

١٣. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أوزوالد ديكرو ، جان ماري سشايفر ، تر: د. منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٤. القاموس الموسوعي للتداولية ،جاك موشلار، آن ريبول، إشراف : عز الدين محجوب ، منشورات دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، ط٢، ٢٠١٠م.

١٥. القول والمقول، أوزوالد ديكرو، تر، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي، مراجعة، حمادي صمود، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٩م.

١٦. كتاب الحيوان، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٦٥م.

١٧. الكتاب المقدس، اغناطيوس زياده، بيروت ،منشورات دار المشرق، ١٩٨٦م.

١٨. الكتابة ورهانات الإقناع " مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد"، بشير دردار ، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٢م.

١٩. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، حمو الحاج ذهبية ، دار الأمل للطباعة ، ط٢، ٢٠١٢م.

٢١. المظاهر اللغوية للحجاج مدخل الى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط١ ، ٢٠١٤م.

٢٢. معجم تحليل الخطاب:، باتريك شارودو- دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري- حمّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م،(د. ط).

٢٣. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي، مطبوعات الأندلس العالمية ، بيروت ، ط١، ٢٠١٠م.

٢٤. النّحو الوافي، د. عباس حسن، مكتبة المحمدي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٥. واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي النفي نموذجاً، د. دردار بشير، المركز الجامعي، تيسمسيلت، الجزائر، ع١، ٢٠١٤م.